رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الرابعة عشرة – العدد [٥٨] ربيع الأول ١٤٣٨هـ/أبريل ٢٠١٧م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- رسائل الشيخ ناصر المبارك
- الخليج وحادثة الكويت
- المرشدات البحرية العربية القديمة والمعاصرة
- مواسم الغوص على اللؤلؤ في الكويت من التقارير الإدارية البريطانية (١٩٠٥-١٩٣٠م)
- من مكتبة المركز
- إصدارات المركز الجديدة

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

يتواصل حرصنا في أعداد (رسالة الكويت) على تقديم الوثائق التي من شأنها أن تكشف عن أمور دقيقة تتناول الأحداث الجارية في بدايات القرن الماضي في منطقة الخليج العربي، وما يتصل بها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية، وبخاصة تلك التي جاءت في تقارير الدول المهيمنة على مجريات الأمور في تلك الفترة، وفي مقدمتها بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا، وكذلك ما ورد في رسائل ومكاتبات شخصيات وطنية بارزة في مجتمعنا كانت لها أدوار مميزة في النشاط الثقافي والاقتصادي والسياسي.

وفي هذا العدد نقدم للقارئ من الوثائق الفرنسية ما يلقي أضواءً على مجريات بعض الأحداث في الكويت، وما يثار حولها من وجهة النظر الفرنسية وقراءاتها لما يحدث في الخليج، كتبها الكاتب السياسي والرحالة الفرنسي غاسطون بوردا، وهو ممن كلفوا بمهمات علمية وسياسية في الخليج، وما حوله، وبلدان في مناطق أخرى.

بالإضافة إلى ما جاء في التقارير الإدارية البريطانية عن مواسم الغوص على اللؤلؤ خلال الفترة من ١٩٠٥ - ١٩٣٠م، وفي ذلك ما يمدّنا بمعلومات مهمة تجلّي كثيراً من الأمور المتصلة بتاريخ الكويت والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها شعوب المنطقة.

ومن الله التوفيق،

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص.ب: ١٠٢٤ دسمان - رمز بريدي: ١٥٤٦١ الكويت - ت: ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) - فاكس: ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

المرشدات البحرية العربية القديمة والمعاصرة

تمثل المرشدات البحرية العربية مصدراً مهماً من مصادر التراث البحري العربي. وقد تداول الملاحون في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر منذ فترة مبكرة مجموعة من المرشدات التي ضاع أكثرها، ولم يبق من آثارها سوى بعض النصوص التي دلت على وجودها. فقد تكلم المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" عن البحار المحيطة بجزيرة العرب فقال: "ودُرت الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان سوى ما توّهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه، وصاحبت مشايخ ولدوا ونشأوا من رُبَّانيين وأشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار، ورأيتهم أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعوّلون عليها ويعملون بما فيها.." [1].

وذكر ابن ماجد في مقدمته لكتاب الفوائد عدداً من معالمة البحر وربابنته المشهورين ممن كانت لهم مؤلفات يعتد بها من مثل المعلم خواشير ابن يوسف بن صلاح الأركي الذي كان يسافر في عام ٤٠٠ هجري وما قاربه، وأحمد بن تبرويه وميمون بن خليل وموسى القندراني وعبدالعزيز ابن أحمد المغربي وأحمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي. وذكر ابن ماجد في مقدمته أيضا ثلاثة اعتبرهم ليوث البحر والمتقدمين فيه، واعتبر نفسه رابع أولئك الليوث، وهم محمد بن شاذان وسهل بن أبان والليث بن كهلان.

وابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي وصلت إلينا مجموعة من المرشدات البحرية أبرزها أعمال أحمد بن ماجد المتمثلة في كتابه الشهير "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد"، وقصيدته "حاوية الاختصار في علم البحار"، وغير ذلك من أراجيزه الشهيرة. كما وصلتنا أعمال سليمان بن أحمد المهري الذي وضع كتاب " العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية"، وكتاب "المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر". وعلى هذه المرشدات انتهى علم كثير من الربابنة الذين لم تصلنا أعمالهم، وجميعهم قد خدم بمؤلفاته الملاحة العربية في المحيط الهندي والبحار المتفرعة عنه.

وقد قدمت لنا تلك المرشدات معلومات غزيرة عن طرق الملاحة والموانى الشهيرة والجزر المتناثرة في عرض البحار ومواسم الرياح، وأساليب قياس خطوط الطول والعرض وتحديد موقع السفينة، إلى جانب الإرشادات النافعة لربابنة السفن عن كيفية الإبحار ودخول الموانى وتوقي الأخطار وتحديد المعالم التي يهتدي بها نواخذة السفن ليعرفوا أين هم من البر ومن الموانى التي يقصدونها، إلى غير ذلك من المعلومات المفيدة.

ويجدر بنا بعد هذه المقدمة أن نتوقف عند أعمال ابن ماجد وتراثه المخطوط، وما تم تحقيقه

(١) المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ليدن ١٩٠٦م، ص ١٠.

منه، وبخاصة ما يتصل بكتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد"، ذلك الكتاب الذي ظل مغموراً في المكتبة الأهلية بباريس إلى عام ١٩١٢م، حيث اكتشفت مخطوطتان؛ الأولى كانت موجودة بالمكتبة الأهلية منذ القرن الثامن عشر، والثانية قد اشترتها المكتبة من أستاذ عربي كان يقيم بفرنسا هو سليمان الجزائري عام ١٨٦٠م[١].

وقد اهتم بهاتين المخطوطتين جبرائيل فرّان (G.Ferrand)، وهو من كبار المتخصصين في تاريخ الملاحة في المحيط الهندي والشرق الأقصى.

ولما كانت المخطوطتان تحتويان على مجموعة كبيرة من مصنفات أحمد بن ماجد وسليمان بن أحمد المهري وضع فرّان مشروعًا متكاملاً لبحث هذا الموضوع الذي درسه بعناية وصبر حتى أنجزه عام ١٩٢٥م في عدة مجلدات. وقد نشر النصوص العربية بطريق التصوير؛ أي بدون تحقيق مباشر للنص بما في ذلك كتاب "الفوائد" لابن ماجد، كما قام بترجمة تلك النصوص إلى اللغة الفرنسية، وعدّت الدراسات التي أجراها فرّان حول ذلك المصنف والمصنفات الأخرى رائدة في إلقاء الضوء على آفاق الملاحة العربية والدور الذي لعبه كل من أحمد بن ماجد وسليمان المهري في وضع قواعد العلوم البحرية.

وبعد الحرب العالمية الأولى عثر المستعرب الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي على مجموعة من الأراجيز البحرية ضمن مخطوطات معهد الدراسات الشرقية في بطرسبرغ،ولم تكن لديه فكرة واضحة عن مؤلفها رغم محاولاته لاستجلاء شخصيته، وظل الأمر كذلك إلى أن نشر فرّان أعمال ابن ماجد عن مخطوطة المكتبة الأهلية التي كان فرّان يعتقد أنها مما تفرّدت به المكتبة الأهلية، وقد أحاط كراتشكوفسكي فرّان بأمر الأراجيز المذكورة، وأشار عليه بأن يتولى مهمة تحقيقها ونشرها ضمن أعمال ابن ماجد الأخرى، ولكن وفاة فرّان عام ١٩٣٥م حالت دون ذلك. وبقي هذا المخطوط حتى جاء تيودور شوموفسكي تلميذ كراتشكوفسكي فقام بتحقيق أراجيز ابن ماجد الثلاث في دراسة علمية حصل بها على درجة الكانديدات من كلية الدراسات الشرقية بلينينجراد (بطرسبرغ) عام ١٩٤٨م، ثم قام المجمع العلمي السوفيتي بطبعها عام ١٩٥٧م، وقد نشر المتن العربي بطريق التصوير[٢].

وعرف كتاب"الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" لابن ماجد طريقه إلى اللغة الإنجليزية من خلال الترجمة القيمة التي قام بها خبير الملاحة الشرقية جيرالد تبتس (G.Tibbetts)، وقد نشر الكتاب عام ١٩٧١م في لندن ضمن مطبوعات جب التذكارية وأعيد طبعه عام ١٩٨١م.

ولفت اهتمام فرّان وغيره من المستشرقين بابن ماجد أنظار الدارسين العرب إلى تراثهم البحري؛ فظهرت مجموعة من البحوث والمقالات التي

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٦٢١.

(٢) أحمد بن ماجد: ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكي، ترجمة وتعليق محمد منير مرسي (مقدمة المترجم). عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٩م، ص٤.

كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد
تاليف امام الموجودين وواحد الزمان
من لم يسبق الى مثل ما صنفه انسان
شهاب الدنيا والدين احمد بن ماجد
سقى الله مضجعه بوابل
الرحمة امين امين
والسبب لكاتبه
الحكيم احمد بن ماجد
عفر الله له
ولوالديه

غلاف كتاب "الفوائد" لابن ماجد (نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق)

اعتمد معظمها على ما قدمه فرّان وشوموفسكي. أما عن نشر مؤلفات ابن ماجد وتحقيقها فقد قام بهذه المهمة الأستاذ إبراهيم خوري من سوريا، ونشر جميع مصنفات ابن ماجد النثرية والشعرية وكذلك مؤلفات سليمان المهري، وتقصّى في تحقيقه الجهود التي بذلها فرّان وترجم العديد من ملاحظاته. وقد نشر أولاً الأعمال النثرية لابن ماجد وسليمان المهري تحت عنوان: "العلوم البحرية عند العرب" في عدة مجلدات ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، وذلك بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١م. ونشر قصائد ابن ماجد وأراجيزه في مجلة الدراسات الشرقية التي تصدر عن المعهد الفرنسي بدمشق؛ فنشر أولاً أرجوزة "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" عام ١٩٧٠م ثم نشر عامي ١٩٨٨ و١٩٨٩م في المجلة نفسها مجموعة أراجيز ابن ماجد وقصائده الأخرى، ثم أعاد نشر كل ذلك بعد ما يقرب من ربع قرن في ستة أجزاء تحت مظلة مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة، وهكذا نشر كتاب "الفوائد" على يد إبراهيم خوري مرتين؛ الأولى في دمشق، والثانية في رأس الخيمة، غير أنه لم يضف جديداً للطبعة الثانية، فقد اعتمد على ثلاث نسخ مخطوطة هي نسخة المكتبة الوطنية التي نشر صورتها فرّان في النشرة الأولى للكتاب في باريس، والنسخة الثانية مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم٣١١٤)، والثالثة نسخة الأستاذ علي محمد التاجر الخاصة، التي اعتبرها أجود النسخ الثلاث وأصحها رغم أنها متأخرة عن النسختين الأخريين في الزمن، ولذلك عدّها خوري الأصل واعتمدها أساساً لتحقيق الكتاب. وقد لاحظ حسن صالح شهاب في دراسته النقدية لهذه النشرة من الكتاب العديد من المآخذ، وهي ناشئة عن بعد المحقق عن تلك البيئة التي كتب فيها ذلك التراث البحري، فجاء فهمه للمصطلحات البحرية عاجزاً عن الوصول للمعاني الدقيقة لتلك المصطلحات. ويخلص شهاب - في دراسته المذكورة - إلى أن نسخة التاجر أقل قيمة من نسختي باريس ودار الكتب الظاهرية[1]، خلافا لرأي الأستاذ الخوري، وقد أشار حسن شهاب إلى عدد غير قليل من الأخطاء والتصحيفات التي لم ينتبه إليها إبراهيم خوري.

وتجدر الإشارة إلى أن إبراهيم خوري قد تصرف في الطبعة الثانية من كتاب "الفوائد" التي نشرها في رأس الخيمة تصرفاً لا يليق بمحقق أمين على التراث القديم؛ فقد أجاز لنفسه حذف نحو ٥٧ نصاً بما يعادل سدس الكتاب، ونقل هذه النصوص إلى ملاحق الكتاب، زاعماً أنها استطرادات من النساخ، دون أن يقدم دليلاً واحداً على ذلك سوى القول "إن أحمد بن ماجد تعوّد عدم الخروج عن الموضوع الذي يشرحه "، أي أنه لا يستطرد. وينفي هذا أن معظم تلك الاستطرادات مرتبطة بالسياق، وهي لا تختلف عن أسلوب ابن ماجد، ويؤكد ذلك أن النسخ الخمس المعروفة الآن من كتاب "الفوائد" قد أوردت هذه النصوص في سياقها ولم تشذ واحدة منها عن ذلك.

(١) حسن صالح شهاب: تحقيق كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد". دراسة نقدية. الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت ١٩٨٩م ص ٥٤ وما بعدها.

ومما يسترعي الانتباه أن فـرّان وإبراهيم خوري لم يعرفا بنسخة مكتبة البودليان التي كان اكتشافها على يدي في صيف عام ٢٠٠٢م عند دراستي وفحصي للمخطوطات الجغرافية في المكتبة المذكورة، بل إن تبتس (G.Tibbetts)، وهو الذي درس في أوكسفورد، لم يذكر مخطوطات ابن ماجد البحرية المحفوظة في هذه المكتبة العريقة بما في ذلك كتاب"الفوائد"، وكان تركيزه في دراسته وترجمته على النسختين الباريسية والظاهرية[١]، ونعتقد أن وجود هذه النسخة مع ظهور نسخة خامسة في مكتبة الشيخ عبدالله خلف الدحيان بوزارة الأوقاف بالكويت من كتاب الفوائد يجعل الباب مفتوحاً لتحقيق جديد يمكن فيه تلافي الأخطاء والتصحيفات التي ظهرت في نشرة إبراهيم خوري[٢].

أما النشرة الرابعة لأرجوزة (الحاوية) فكانت على يد الأستاذ حسن صالح شهاب رحمه الله، وهو من مدينة عدن،وله اهتمام كبير بعلوم البحر والملاحة عند العرب، ونشر العديد من الكتب والدراسات في هذا الموضوع. وقد اعتمد في نشرته على نسخة جديدة لم تكن معروفة من قبل، وجدها عام ١٩٩١م بدار المخطوطات التابعة لوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وكانت ضمن مجموع يضم أكثر من عشرين عملاً ملاحياً،ويضم ذلك المجموع عدداً من قصائد ابن ماجد، من بينها قصيدتان تعدّان من قصائد ابن ماجد المفقودة، هما (قصيدة الخيل) أو (النونية الكبرى)، وقصيدة أخرى مخمسة. وقد ضم ذلك المجموع أيضاً قصيدة (المعربة) التي تصف الطرق البحرية بين ساحل الصومال الشمالي وجنوبي اليمن، و(كنز المعالمة) في قياسات بعض النجوم، و(مخمسة الاستوايات) في قياس الطالع من النجوم مع الغارب منها. إضافة إلى ثمانية وخمسين بيتاً من قصيدة (الهادية) في وصف طرق وقياسات أهم موانى ساحل الهند الغربي.

وإلى جانب القصائد المذكورة توجد في المخطوطة ثلاث كراسات مبتورة الأول والآخر؛ الأولى في قواعد علم الملاحة عند المتقدمين، نقل أغلبها من كتاب (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) لسليمان بن أحمد المهري. والكراسة الثانية في معرفة سير الشمس في البروج أو معرفة السنين والأوقات وجهات القبلة. أما الثالثة فتصف منازل القمر وسعد النجوم ونحسها، وتأثير طلوعها وغروبها على الكائنات والظواهر الطبيعية.

ويرى حسن شهاب أن الناسخ لهذا المجموع ربما كان ربّاناً له معرفة بقياسات النجوم وغيرها من قواعد الملاحة عند البحارة المتقدمين، وله إلمام أيضاً بأساليب الملاحة عند البحارة المتأخرين الذين تأثروا بأساليب الملاحة الأوربية التي تعتمد على قياس ميل الشمس عن المركب ثم ميلها عن خط الاستواء واستخراج الغرض المطلوب من بينهما. وعليه فإن هذه المخطوطة تعتبر من أقدم المخطوطات التي تجمع بين القديم والحديث في علم الملاحة عند العرب. وتعود إلى عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٣م، وهو تاريخ نسخ الحاوية في هذا المجموع.

(1) Tibbetts, G.R.(1981): Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Portuguese. London, p.25.

(٢) قام مركز البحوث والدراسات الكويتية بنشر نسخة مكتبة عبدالله خلف الدحيان المحفوظة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت عن طريق التصوير مع مقدمة وفهارس من إعداد أ.د.عبدالله يوسف الغنيم (الكويت ٢٠٠٤م).

ومن الأمور المستغربة – كما ذكرنا من قبل– أنه على الرغم من الاهتمام الكبير الذي لقيه تراث ابن ماجد البحري فإن نسخة مكتبة البودليان لم يعرفها جميع الذين اهتموا بذلك التراث من المستشرقين ومن العرب، وهي نسخة جيدة؛ فيها شيء من النقص،وفيها بعض الزيادات، وفيها تقديم وتأخير في بعض الأبيات، وربما كشفت الدراسة التحليلية المتأنية والتحقيق الدقيق جوانب من الفروق المهمة التي تقدمها قراءة مخطوطة البودليان، والتي تساعد في مزيد من التوضيح لهذه الوثيقة البحرية.

وتشتمل مخطوطة البودليان – بالإضافة إلى أرجـوزة الحاوية – تسع أراجيز وقصائد؛ منها أرجوزة وثلاث قصائد لم تعرف ولم تنشر من قبل، وهي إضافة جديرة بالاهتمام، وتوحي بأن فرص وجود مخطوطات وأعمال جديدة لأحمد بن ماجد ما زالت قائمة.

ويعد كتاب "الفوائد" بمثابة شرح لقصائده وأراجيزه في علم الملاحة؛ فالكتاب الذي وصل إلينا تعود كتابته إلى عام ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩م، في حين أن أقدم القصائد التي نظمها تعود إلى عام ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠م، وهي قصيدة "القافية في معرفة المجهولات من النجوم"، التي يوحي مطلعها بأنه قد قرر أن يكشف عن علمه ويذيعه بين الناس. وتشف القصيدة عن معرفة فائقة بالأنواء ومطالع النجوم ومغاربها، ومعرفة بكبار الشعراء الذين قرأ أشعارهم وتأثر بهم من أمثال الفرزدق وذي الرمة غيلان بن عقبة. يقول ابن ماجد:

خليلي هيا واسمعا درَّ منطقي
فلا عاش من يخفي العلوم ولا بقي
فعندي في علم النجوم دراية
لغيلان أعيى حصرها والفرزدق

وفي السنة التالية (٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م) وضع ابن ماجد أرجوزته الكبيرة "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" التي تضمنت مبادئ علم البحر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

وأرجـوزة "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" لابن ماجد أنموذج مثالي لذلك النظم التعليمي الذي اتخذ من بحر الرجز وسيلة للتعبير عن المعارف البحرية؛ فقد استعرض ابن ماجد في أرجوزته التي اشتملت على نحو ١٠٨٢ بيتاً مجمل تجاربه الميدانية في عرض البحر صاغها بأسلوب سلس وفق منهج علمي واضح. وجعل ابن ماجد أرجوزته على هيئة كتاب مقسم إلى أحد عشر فصلاً يتناول كل فصل منه جانباً من جوانب علم البحر؛ المبادئ والأصول والقواعد، وبين فيها أصول علم الفلك الملاحي وكيفية الاهتداء بالنجوم والاستفادة من الأنواء ومنازل القمر، وتواريخ طلوعها محسوبة بالسنة الشمسية الملاحية أو ما يسمى بالنيروز العربي، وبما يقابلها من السنة الرومية أو البيزنطية.

وقد نشرت "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" أربع مـرّات؛ الأولى مصورة عن نسخة باريس مع دراسة وتحليل باللغة الفرنسية قام بها جبرائيل فران عام ١٩٢٣م، والثانية على يد إبراهيم خوري في مجلة الدراسات الشرقية التي تصدر عن المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٧٠م، ثم أعاد نشرها

ضمن سلسلة الملاحة العربية الفلكية الصادرة عن مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة حوالي عام ١٩٩٥م، وقد تضمن عمله أيضاً ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية. وقد اعتمد خوري في النشرتين المذكورتين على ثلاث نسخ؛ هي النسخة الباريسية والنسخة الظاهرية ونسخة علي التاجر، وهي النسخ نفسها التي اعتمدها في تحقيقه لكتاب (الفوائد).ويذكر خوري أن أية نسخة من النسخ الثلاث المذكورة لم تتضمن كل الأبيات، بل هي تتكامل فيما بينها، وأنه اجتهد في تعيين عدد أبيات كل فصل منها اعتماداً على ما ذكره ابن ماجد في خاتمته التي بيَّن فصولها وعدد الأبيات في كل فصل منها.

ولقد ظلت أعمال أحمد بن ماجد هي الأكثر تأثيرا في الملاحين الذين أتوا من بعده، وفاق في ذلك سليمان المهري الذي كان قريبا من عصره، ويرجع ذلك إلى تعدد أعماله واهتمامه بصياغة معلوماته الملاحية في صورة أراجيز وقصائد يسهل حفظها وتداولها بين الربابنة والملاحين، ويؤكد ذلك ما جاء ذكره في ترجمة الشيخ عيسى بن حمد بن طريف آل ابن علي،من أن من مآثره أنه أمر بنسخ مخطوطات أحمد ابن ماجد عدة نسخ أوقفها لخدمة أهل البحر، لعظيم فائدتها لهم في إرشادهم إلى الطرق البحرية البعيدة عن مغاصاتهم التي اعتادوا عليها، وقد تم ذلك في العقد الرابع من القرن التاسع عشر[١] .

وقد ظل اسم ابن ماجد على ألسنة البحارة في خليج عمان والخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي قروناً عدة بعد وفاته، حتى أن السير ريشارد بيرتون (R.Burton) يذكر في كتابه عن شرق إفريقية أنه لما أبحر من عدن عام ١٨٥٤م تلا البحارة سورة الفاتحة ترحماً على روح الشيخ ابن ماجد[٢].

وقد تناقل الربابنة (والمعالمة) العرب في هذه المناطق تلك النصائح والإرشادات التي قدمها في كتابه"الفوائد"، واستمر ذلك إلى مرحلة اختفاء النشاط الملاحي للسفر الشراعي نتيجة ظهور البترول واستخدام التقنيات الملاحية الحديثة. ونجد أن آخر ذكر لأحمد بن ماجد كان عند المعلم منصور الخارجي عام ١٩٣٩م؛ فقد ضمّن الربان الكويتي منصور إبراهيم الخارجي مرشده الملاحي الذي جمعه ووضعه عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م نبذة من أقوال أحمد بن ماجد بدأها بقوله: "أقوال الشيخ أحمد بن ماید (ماجد) شيخ علم البحر: بسم الله الرحمن الرحيم، فهذا مختصر في علم البحر من كلام شيخ الأولى عارف البلدان والرسوم معلم البحرين والبرين المعلم الشيخ أحمد بن ماید(ماجد) ابن محمد بن عمر بن يوسف بن فضل بن حسن بن حسين بن دويك السعدي بن أبي البركات النقدي (النجدي) ساكن قلْ فار(جلفار) وهي طلع من رأس الخيمة غفر الله لنا وله..[٣]".

وقد كان الربان منصور الخارجي يدرّس

(١) عبدالله بن حسين بن ناصر بن علي: "العتوب في الماضي والحاضر". دمشق . ٢٠٠٢م، ص ١٢٨.

(2) Tibbetts, G.R (1981): Arab Navigation in the Indian Oceon befor the coming of thePortuguese. London, p.12.

(٣) أحمد بن ماجد: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تقديم عبدالله يوسف الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٤م،ص ١٢، ١٧.

مبادئ علم البحر لأبناء جزيرة فيلكا في زمن الصيف الذي تتوقف فيه الملاحة الشراعية.

ولم يكن الربان منصور هو الوحيد الذي تأثر بأحمد بن ماجد أو نقل عنه، بل إن معظم الذين كتبوا في مجال المرشدات البحرية من أهل الخليج والجنوب العربي منذ عهد ابن ماجد إلى أُفول الملاحة الشراعية قد استفادوا من نصائحه وإرشاداته، وذلك رغم التحول الذي حدث في فن الملاحة عقب تأثرها بأساليب الملاحة الغربية في أواخر القرن التاسع عشر، والبدء في استعمال الخرائط الملاحية التي كانت تصدرها الأدميرالية البحرية البريطانية.

وقد وصلتنا بعد أعمال ابن ماجد وسليمان المهري ثلاثة من المرشدات البحرية يعود أقدمها إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ فقد عثرت في بحثي عن المخطوطات الجغرافية في مكتبة المتحف البريطاني عام ١٩٧١م، على مرشد ملاحي، اشترك في نسخ مادته اثنان: الأول منهما مجهول، نسخه تحت عناية مالك الكتاب، وهو سعيد بن أحمد بن خميس بن بريك، وقد فرغ منه في ٢٠من رجب من عام ١٢٦٠هـ الموافق ٥ من أغسطس ١٨٤٤م، والثاني يدعى سعيد بن أحمد ابن ماطر التهامي، وهو يسبق هذا الكتاب باثنتين وثلاثين سنة تقريبا.

وقد عُثِرَ على هذا المرشد الملاحي في سفينة عربية صادرت حمولتها السلطات البريطانية بتهمة المتاجرة بالرقيق، وذلك بالقرب من رأس الحد في الطرف الجنوبي الشرقي من سلطنة عُمان. وقد نقل إلى مكتبة المتحف البريطاني عام ١٨٨٥م. ويشتمل هذا المرشد البحري على مجموعة من التعليمات والإرشادات البحرية الخاصة بالملاحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي، ويصل في مداه شرقا إلى جزر الفالات (لكالديف حاليا) وجزر الذيب التي تعرف اليوم بجزر المالديف. ويحتوى هذا المرشد على جداول لبيان أطوال وعروض الموانى المختلفة الواقعة على سواحل المحيط الهندي والبحار المتفرعة منه [1].

ويصادفنا في فترة معاصرة أيضاً أعمال شخصية اكتسبت شهرة كبيرة في ميدان الملاحة البحرية، ألا وهي شخصية الربان الحضرمي الشيخ سعيد بن سالم باطايع الذي ولد ببلدة الحامي على ساحل حضرموت في جنوب الجزيرة العربية عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م، وتلقى تعليمه على أشياخ تلك البلدة حتى برع في اللغة والفقه. وبدأ نشاطه البحري وهو في سن التاسعة مع والده الذي كان رباناً وتاجرا،وما إن بلغ العشرين من عمره حتى أصبح من أعلام الملاحة البحرية في بحر العرب، وقد امتدت رحلاته من سواحل شرقي أفريقيا غربا إلى سواحل الهند شرقا.

وقد أودع الربان باطايع تجاربه البحرية في منظومتين؛ نظم الأولى في عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، وعمره آنذاك ٣٧ عاما، وكانت في وصف الطريق من ميناء سيحوت إلى جزيرة زنجبار بشرق

(١) عبدالله يوسف الغنيم: المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كمبردج، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٩م،ص ٨٦. وانظر أيضا : حسن صالح شهاب: قواعد علم البحر: شرح وتحقيق لمخطوطتين في فن الملاحة البحرية، الكويت ١٩٨٦م، ص٨.

أفريقيا، وتقع في ٥٨ بيتاً. ونظم الثانية في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. وهي في وصف الطريق الملاحي من ميناء مسقط بعمان إلى ميناء المخا باليمن. والمنظومتان مكتوبتان باللهجة المحلية وبطريقة بسيطة سهلة الحفظ والتطبيق.

وقد توفي الربان سعيد باطايع عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م عن عمر يناهز التسعين، قضى معظمها على متن السفن الشراعية بحارا ومرشدا وربانا يشار إليه بالبنان [١].

وقد استفاد ربابنة الكويت من منظومتي باطايع، بل إنّ عيسى القطامي قد أورد في مرشده الملاحي رباعية لم ترد في مخطوطات المنظومة الثانية لباطايع وهي قوله:

والـبـاطـلي تحـت راسـك
حـكّـم قـيـاسـك
عـن بـو الـرصـاص الـغـبـيـة[١]
واحـذر نـعـاسـك

وقد اهتم الغربيون بأعمال باطايع وإرشاداته البحرية، فكتب سارجنت (R.Sargent) عام ١٩٨٢م دراسة مقارنة باللغة الإنجليزية بين نصي المخطوط والمطبوع من المنظومة الأولى لباطايع التي تصف الطريق ما بين سيحوت إلى زنجبار. ونال الباحث الفرنسي ميشيل نيتوه رسالة الدكتوراه عن الملاح باطايع ومنظوماته الملاحية [٢].

ولم تكن الكويت بعيدة عن مثل هذا النشاط العلمي في ميدان الملاحة؛ فقد وصل إلينا العديد من المرشدات الملاحية التي استلهمت التراث القديم وأضافت إليه الكثير من التفصيلات، ونهض بهذا الأمر عدد من النواخذة (الربابنة)، وكان من أقدم تلك المرشدات المرشد الملاحي الذي وضعه في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا النوخذة إبراهيم ابن محمد بن غانم بن عبدالله الغانم، وقد استعان بهذا المرشد نواخذة الكويت في النصف الثاني من القرن المذكور.

وقد نسخ ذلك المرشد لنفسه النوخذة شعيب بن عبدالسلام في رجب من عام ١٢٩٢هـ (أغسطس ١٨٧٥م)، ويذكر الأستاذ حسن صالح شهاب الباحث في التراث البحري أنه اطّلع على أصل مشابه عند الشيخ محمد باعباد، وهو من ربابنة اليمن المشهورين. ولاحظ أن النوخذة إبراهيم الغانم قد أضاف إلى نسخته جداول أخرى للطول والعرض لا توجد في نسخة باعباد، نسخها له النوخذة شعيب من النوالي (الخرائط) الجديدة، كما أضاف إلى الكتاب أيضا بعض قواعد حساب استخراج الطول والعرض والمساج، وعدداً من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقصيدة لم يذكر ناظمها في وصف رحلة إلى سواحل شرق أفريقيا والعودة إلى بر العرب [٣].

وقد نشر هذا المرشد البحري الأستاذ حسن

(١) محمد علوي عبدالرحمن باهارون: الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠١٢م، ص ٣٣-٣٥، ٧٦.

(٢) محمد علوي باهارون: الكشف عن جوانب من حياة الملاح باطايع، ص٧٨.

(٣) حسن صالح شهاب: قواعد علم البحر، ص ١٢.

صالح شهاب عام ١٩٨٦م ضمن السلسلة العلمية التي كانت تصدر عن وحدة البحث والترجمة بقسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية تحت عنوان" قواعد علم البحر: شرح وتحقيق لمخطوطين في فن الملاحة البحرية".

ووصلنا بعد هذا المرشد في الكويت مجموعة أخرى كان من أبرزها "دليل المحتار في علم البحار" للربان عيسى بن عبدالوهاب القطامي الذي ولد في الكويت عام ١٨٧٠م، وبعد أن ختم القرآن وتعلم القراءة والكتابة سافر نحو سنتين مع خاله النوخذه ثنيان الغانم،ثم مع خاله النوخذة إبراهيم الغانم (صاحب المرشد الذي أشرنا إليه قبل قليل). وقد استغرقت سفراته معه نحو ثلاث سنين، وتنقل معه بين سواحل الهند وشرقي أفريقية، وتعرف مجاري البحار وما يحتاج إليه الربان في سفره، ولم يبلغ سن الرابعة عشرة إلا وقد أصبح معلماً متمكناً من تحديد المواقع الفلكية للسفينة في غب البحار. وقد عمل في هذه الوظيفة لمدة سنتين مع أحد النواخذة المعروفين في الكويت، ثم أصبح رباناً ومعلماً في آن واحد[١]، وهذه الرتبة الجامعة هي التي تميز بين الربابنة الكبار في ذلك الوقت. وقد استمر القطامي في تثقيف نفسه في علم البحر ومجاريه وأحواله بالاطلاع على أعمال ابن ماجد وتراث غيره من الربابنة القدماء، وكان يطبق تلك المعارف القديمة على الخرائط الملاحية الحديثة، ووصل بذلك إلى درجة عالية من المعرفة مكنته من تأليف كتابه "دليل المحتار..." الذي وضعه تلبية لحاجة الناس إلى تلك المعارف؛ فهو يقول في مقدمته: "أما بعد، لما رأيت بعض الإخوان من أهل الوطن كثيري السؤال عن طرق البحار والمجاري، وهم في حاجة لمثل هذا الكتاب النفيس حركتني خدمة الوطن خاصة وخدمة إخواننا المسلمين كافة أن أقوم بقدر الاستطاعة بجمعه، أسأل الله جل وعلا أن يعم نفعه، فجمعته من كتب الأقدمين من علماء البحر، وحذفت منه ما طال لفظه وقل نفعه، وأوردت بعض المجاري والقواعد المفيدة، وأبقيت ألفاظه كما كانت سابقا بحسب ألفاظنا الاصطلاحية وسميته: دليل المحتار في علم البحار"[٢].وقد أنجز كتابه في عام ١٩١٥م لقوله:

قف واستمع عجبا حوى أودعته
خذ ذا دليل البحر قد أرخته

وحساب الشطرة الثانية بحساب الجمل تساوي ١٣٣٤هـ (١٩١٥م). ويبدو أنه قد زاده ونقحه إلى أن واتته الفرصة لطباعته بمطبعة دار السلام ببغداد عام ١٩٢٤م، وطبع بعد ذلك عدة مرات، ويعد بذلك أول مرشد بحري يطبعه مؤلفه في المطابع الحديثة، أي أنه وصلنا مطبوعا وليس مخطوطا.

ومن الواضح أن عيسى القطامي قد استفاد من المرشد الذي كان عند خاله إبراهيم الغانم. ويذكر الأستاذ حسن شهاب أنه في تحقيقه لكتاب الغانم قد استعان بجداول الطول والعرض الواردة في

(١) مقدمة كتاب دليل المحتار (ترجمة المؤلف)، ص ٥.

(٢) دليل المحتار: ص ٧.

دليل القطامي في استكمال ما في الكتاب من نقص في طول بعض الأماكن وعرضها[1].

وتتابعت بعد دليل القطامي مجموعة من المرشدات التي عثر على بعضها، وبعضها الآخر فقد وطواه النسيان، فمن الواضح أن الكثيرين من نواخذة السفر ومعالمة البحر كانوا يحتفظون بمذكرات تشتمل على عدد من القواعد المتعلقة بحساب استخراج الطول والعرض، وطرق القياس بآلة الكمال (Sextant)،وجـــداول وعـروض الأماكن البحرية وأطوالها،ومعارف مختلفة عن طريق تحديد جهة القبلة في عرض البحر،وإشارات المراكب التجارية، والبروج، وغير ذلك مما يحتاجه المرشد وراكب البحر.

وحينما بدأ مركز البحوث والدراسات الكويتية في جمع التراث البحري ونشره في أوائل التسعينيات من القرن الماضي توافر للمركز مادة قيمة مما بقي من ذلك التراث؛من مثل الروزنامات البحرية، والدفاتر الخاصة بأوزان اللؤلؤ، والرسائل المتبادلة بين نواخذة السفن والتجار، بالإضافة إلى عدد من تلك المرشدات البحرية، التي حرص المركز على نشرها وتقديمها للقراء، توثيقا للتاريخ البحري الخاص بالكويت ومنطقة الخليج العربي، ونذكر هنا منها أربعة من المرشدات البحرية:

الأول: كتاب "القواعد والميل والنتيجة في علم البحر"، وهو من إعداد النوخذة الكويتي منصور إبراهيم الخارجي الذي كان من أشهر نواخذة جزيرة فيلكا الكويتية، كما إنه سليل أسرة أنجبت عددا من نواخذة السفر، منهم والده الذي تلقى هو العلم على يديه، بالإضافة إلى أخويه؛النوخذة رجب، والنوخذة علي الخارجي.

وكانت أصول هذا الدليل أو المرشد مُلْكاً للنوخذة حسين بن علي جناع، وهو أيضا من جزيرة فيلكا، اشتراه منه النوخذة منصور في سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وزاد فيه كثيرا من القواعد الملاحية وسَمَّاه "القواعد والميل والنتيجة في علم البحر".

وكتابه هذا ليس مؤلفا منهجيا بل هو معلومات دونت في تواريخ متباعدة؛ بعضها سُجِل في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٧م؛ أي قبل دخول الكتاب في ملكه، وبعضها الآخر سجل بعد ذلك، وكان آخر ما دونه في عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م. ويتخلل الكتاب موضوعات وحوادث شهدها النوخذة منصور في أثناء رحلاته؛ من مثل تاريخ دخول الإنجليز إلى البصرة، وخروجهم من عبادان، بالإضافة إلى بعض القصائد. ويتميز هذا المرشد بضبط عروض البلدان وأطوالها وفق خرائط البحرية البريطانية، كما يتميز بالرسوم الكثيرة المتقنة للمراسي والمناخ وعلامات البرور[2]: وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ حسن صالح شهاب رحمه الله ونشره مركز البحوث والدراسات الكويتية عام ٢٠٠٧م.

(١) قواعد علم البحر: ص ١٢.

(٢) منصور إبراهيم الخارجي: القواعد والميل والنتيجة وعلم البحر، تحقيق وشرح حسن صالح شهاب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٧م، (مقدمة المحقق)، ص ١١.

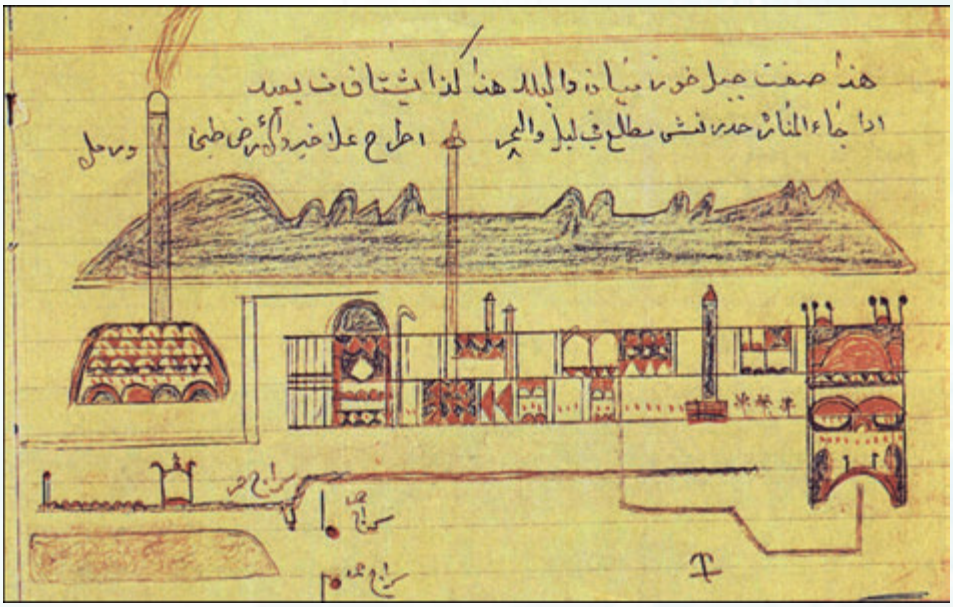

صفة ميناء خور ميان بالهند (كتاب القواعد والميل والنتيجة في علم البحر) للنوخذة منصور الخارجي

صفة ميناء منقرور بالهند (كتاب القواعد والميل والنتيجة في علم البحر) للنوخذة منصور الخارجي

الثاني: كتاب رحماني يوسف بن ناصر الخرافي: ولا يختلف هذا المرشد البحري عن المرشدات السابقة عليه مع بعض الإضافات والأمثلة التي استقاها النوخذة يوسف الخرافي من تجاربه الشخصية. فقد بدأ النوخذة المذكور حياته العملية في سن مبكرة؛ إذ بعثه أخوه عبدالمحسن ناصر الخرافي إلى الهند، حيث كان والدهما يدير تجارة آل الخرافي في إقليم كيرلا ومدراس، وهناك تعلم قواعد علم الملاحة والفلك البحري إضافة إلى إجادة اللغة الهندية. وبعد ذلك انتقل إلى ممارسة الحياة البحرية، وتولى قيادة سفينة شراعية وهو في العشرينيات من عمره، وكانت من سفن عَمّه النوخذة والتاجر المعروف أحمد الخرافي،وكان متقنا لاستعمال آلة القياس (الكمال) وقراءة الخرائط البحرية، حازما في إدارة سفينته وضبط بحارته[1].

وتجدر الإشارة إلى أن النوخذة الخرافي قد استفاد من المتقدمين، أسوة ببقية المرشدات البحرية المتأخرة، وهو يشير في فصول الكتاب الأولى إلى نقله عن أحمد بن ماجد وعن غيره من علماء البحر المتقدمين. كما أن الأبواب الأولى المخصصة لبيان "الغايات والمبادئ، والتقلبات، والثوابت، والنوازل، والجمع، وما يكون الميل عرضه" تماثل من حيث الترتيب والمنهجية ما جاء في المرشد المنسوب إلى النوخذة إبراهيم الغانم. مع بعض الاختلاف في الأسلوب وتعديلات في حساب الدقائق يلاحظها من يقارن بين نصي المرشدين.

وقد حقق هذا المرشد الملاحي أيضا الأستاذ حسن صالح شهاب وشرحه شرحا طيباً، ونشره مركز البحوث والدراسات الكويتية عام ٢٠٠٤م.

الثالث: رحماني النوخذة عبدالله عبدالعزيز البراك، المسمّى "الدفتر المترجم في جميع المسائل والمعاني". وقد حرر هذا الكتاب في الخامس من ربيع الثاني ١٣٦٨هـ الموافق ٤ من فبراير ١٩٤٩م. ومعلوماتنا عن النوخذة المذكور محدودة، ومرشده يتفق في معلوماته مع كثير من المرشدات التي سبقته، وبخاصة كتاب "القواعد والميل والنتيجة في علم البحر" لمنصور الخارجي، غير أنه يتميز بالأمثلة الكثيرة والتطبيقات، إضافة إلى اهتمامه بالمنظومات الفلكية، ومنها منظومة الشيخ محمد بن شهوان في حساب النجوم والبروج والشهور الرومية[2]. وقد طبع هذا المرشد بإشراف الدكتور يعقوب يوسف الحجي بطريقة التصوير، ضمن إصدارات مركز البحوث والدراسات الكويتية عام ٢٠١٠م.

الرابع: الجامع اللطيف في علم البحر، للنوخذة محمد ماجد سالم المرزوق. وقد ولد هذا النوخذة في مدينة صور بسلطنة عُمان عام ١٩٢١م، وينتمي إلى عائلة اشتهرت بريادة البحر شأن كثير من أبناء ذلك البلد، وقد انتقل إلى الكويت واستوطنها في وقت مبكر وعمل نوخذة مع عدد من أصحاب السفن الكويتية، وكانت وفاته في الكويت عام ٢٠٠٩م.

وقد كتب هذا المرشد بخط جميل وبترتيب خاص يميزه عن غيره من المرشدات. وقد اعتنى

(١) يوسف بن ناصر الخرافي : رحماني، تحقيق وشرح حسن صالح شهاب، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠٠٤م ص١١.

(٢) عبدالله عبدالعزيز البراك: رحماني (الدفتر المترجم في جميع المسائل والمعاني) راجعه يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠١٠م، ص ٥٠- ٥٢.

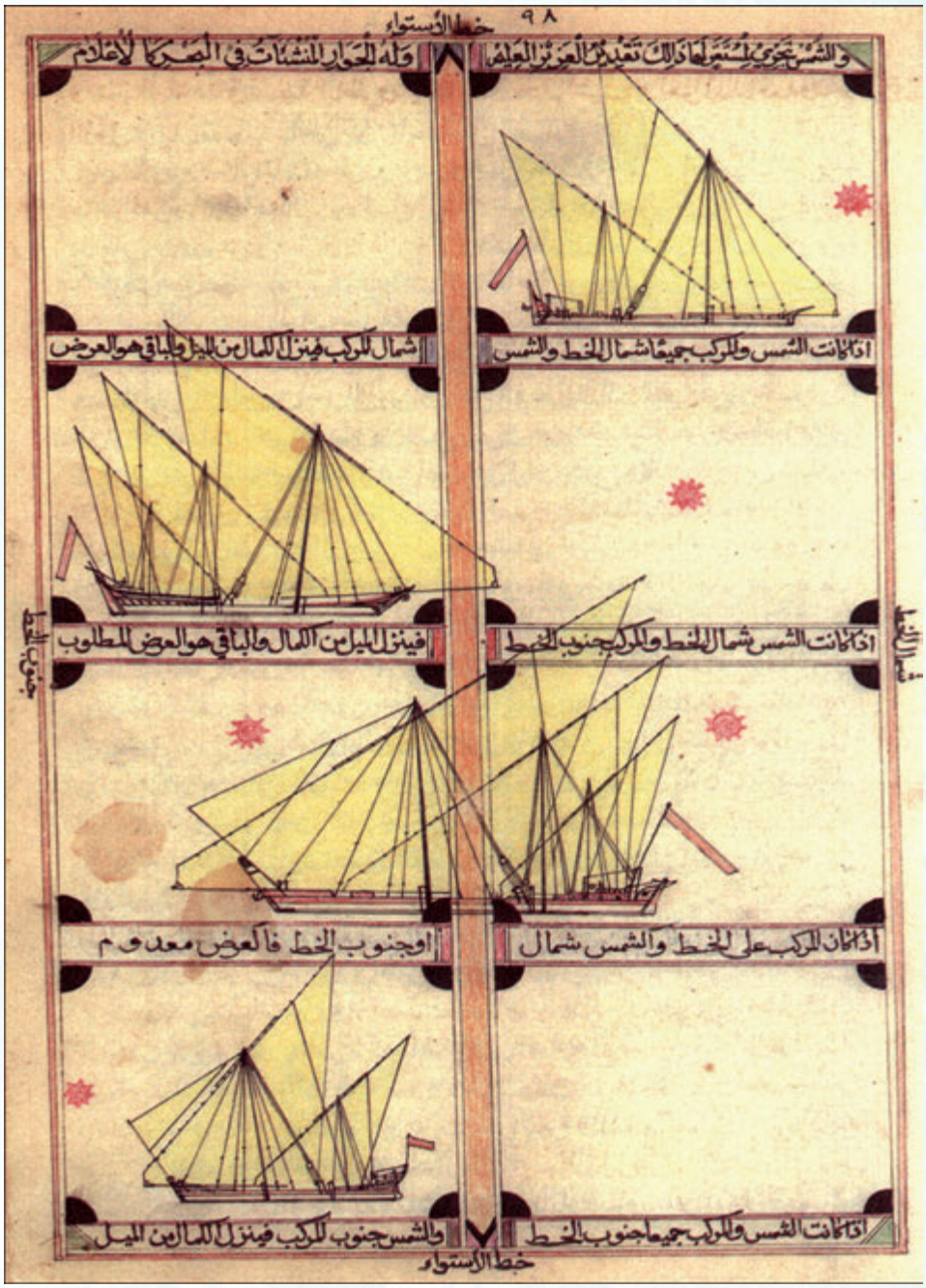

صفحة من كتاب "الجامع اللطيف في علم البحر" للنوخذة محمد ماجد سالم المرزوق

بشرحه وتحقيقه الأستاذ الفلكي عادل حسن السعدون الذي قدم توضيحا وتحليلا لكثير من النصوص والقواعد الحسابية والفلكية التي يصعب معرفتها على القارئ المعاصر، واستخدم الكثير من الرسوم الحسابية والفلكية التي تنير السبيل أمام الباحثين وتقربهم من غايات المؤلف ومقاصده.

وقد طبع هذا الكتاب ضمن إصدارات مركز البحوث والدراسات الكويتية عام ٢٠١١م.

* * *

وبعد؛ فقد كان ما ذكرناه أحد جوانب التراث البحري في منطقة الخليج العربي، تبيّنا منه ذلك الترابط التاريخي بين المرشدات القديمة وتلك المرشدات الحديثة التي وصلتنا عن القرنين التاسع عشر والعشرين. وذكرنا أثر شيخ البحر أحمد بن ماجد في معظم المرشدات التي جاءت بعده؛ فقد عُثر على نسخة مخطوطة من كتابه "الفوائد" في الكويت وأخرى في البحرين، وذكر كثير من نواخذة السفر الشراعي المحدثين فضله،وأخذوا بكثير من توجيهاته وقواعده، وأضافوا إليها من تجاربهم العملية نتيجة رحلاتهم التي امتد بعضها لأكثر من ثلاثين عاما، اكتسبوا خلالها معارف شتى سجلوها في مذكراتهم ومرشداتهم، ولم يكن ابن ماجد هو المصدر الوحيد لمعلوماتهم ، بل كانوا على معرفة جيدة بعلم الأنواء ومعرفة حساب الشهور الرومية ومطالع النجوم ومواقع البروج وغير ذلك مما يدخل في علم الهيئة.وقد أورد النوخذة عبدالله البراك في مرشده الملاحي منظومة محمد بن شهوان الزبيري من علماء النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1]، وهي تقع في ٨٢ بيتا ،ضمنها الكثير من المعلومات الفلكية النافعة لراكب البحر. ومن الفوائد التي أوردها النوخذة عبدالله البراك ما يتعلق بمعرفة السنة الكبيسة القمرية نقلا عن منظومة للشيخ محمد عفالق المتوفى عام ١٧٥٠م، وعن كتاب "عُجالة المستعجل في علم الفلك" للشيخ محمد بن فيروز (توفي عام ١٨٠١م)، وكلاهما برع في علم الهيئة والحساب[2].

وتأتي استفادة نواخذة الكويت من هؤلاء الأعلام الذين كان لهم تأثيرهم في المجال العلمي دليلاً على أن علم البحر عند نواخذة الكويت ومنطقة الخليج العربي لم يكن معتمدا على مجرد التجارب الشخصية والممارسة العملية فحسب، بل يعتمد أيضا على مصادر مكتوبة تداولها أولئك النواخذة واستفادوا منها وعملوا بها.

وختاما، فإن ما ذكرناه لا يمثل إلا جانبا واحداً من جوانب التراث البحري في الكويت ومنطقة الخليج العربي، وتتمثل الجوانب الأخرى في السجلات اليومية أو ما يسمى بالروزنامات، والكتب المتعلقة باللؤلؤ وأوزانه،والتراث الفني العام المتعلق بالبحر، بالإضافة إلى الوثائق الأهلية المتعلقة بالنشاط البحري.

ويشكل كل ذلك مادة ينبغي أن تنال مكانتها اللائقة بها في المكتبة العربية.

(١) عبدالله عبدالرحمن البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الطبعة الثانية، الرياض ١٤١٩هـ. المجلد الخامس، ٥٦٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، المجلد السادس، ص ٢٣٦ وما بعدها.